دور التعبيرات غير اللفظية في بناء الزمن عند نجلاء محرم

إيمان سعد عبدالرحمن على

المستخلص:

يدور هذا البحث حول دور التعبيرات غير اللفظية في بناء الزمن عند نجلاء محرم، والتعبيرات غير اللفظية متنوعة منها الإشارات الزمنية، كتعبيرات الزمن الكونية والمفارقات الزمنية ، وهذه الإشارات تعد علامات سيميائية يمكن تفسيرها من خلال المنهج السيميائي حيث يساعد هذا المنهج على تحليل وتأويل هذه العلامات.

الكلمات المفتاحية:

دور – التعبيرات غير اللفظية – بناء الزمن.

Abstract:

This research revolves around the role of non-verbal expressions in building time according to Naglaa Mehrem, and various non-verbal expressions, including temporal signs, such as expressions of cosmic time and temporal paradoxes, and these signs are semiotic signs that can be interpreted through the semiotic approach, as this approach helps to analyze and interpret these signs.

key words:

Role - non-verbal expressions - construction of time.

يعد الزمن أحد العناصر الأساسية في السرد الروائي، وكما تعددت الآراء حول المكان الروائي كذلك تعددت الآراء والمفاهيم حول الزمن فهناك من فرَّق بين زمن القصة وزمن الخطاب، فيرى تودروف أحد أعلام المدرسة الشكلانية أن زمن القصة متعدد الأبعاد بمعنى أن هناك الكثير من الأحداث يمكنها أن تجري في وقت واحد، أما زمن الخطاب خطي فلا يمكن للأحداث أن تأتي مرتبة واحدة بعد الأخرى بسبب الانحرافات الزمنية المتعددة(١)

وترجع أهمية الزمن إلى أنه يعد أساسا جوهريا ترتكز عليه عناصر البناء الروائي حيث يشكل الرواية ويحدد طبيعتها وتقول سيزا قاسم "الزمن محوري وعليه تترتب عناصر التشويق والإيقاع والاستمرار،... ويحدد... طبيعة الرواية ويشكلها،...وليس للزمن وجود مستقل،...فالزمن يتخلل الرواية كلها ولا نستطيع أن ندرسه دراسة تجزيئية، فهو الهيكل الذي تشيد فوقه الرواية"(٢)، وقد قسمت سيزا قاسم الزمن إلى نوعين:"الأول: الزمن الطبيعي: وهو خاصية موضوعية من خواص الطبيعة ولهذه الخاصية جانبين هما: الزمن التاريخي:...له ارتباط وثيق بالتاريخ،... ويمثل المقابل الخارجي الذي يسقط الروائيون عليه عالمهم التخييلي، والزمن الكوني (الفلكي): هو إيقاع الزمن في الطبيعة ويتميز بصفة خاصة بالتكرار واللا نهائية، الثاني: الزمن النفسي: هو الزمن الذاتي الخاص الشخصي الذي لا يخضع لمعايير خارجية أو لمقاييس موضوعية"(٣)

ومما سبق يتضح أن الزمن عنصر أساسي في العمل الروائي كما أنه يرتبط بالعناصر الأخرى كالأحداث والشخصية والمكان، وزمن القصة تسير فيه الأحداث بتتابع أما زمن الخطاب السردي تحدث فيه مفارقات زمنية، وينقسم الزمن إلى زمن طبيعي يضم التاريخي وهو الزمن الذي يتناول

(١) سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١٩٩٧،٣،ص٧٣ ، حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص١١٤

(٢) سيزا قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مكتبة الأسرة، د.ت، د.ط. ص٣٨

(٣) المرجع السابق: ص٦٨،٧٤،٧٦، وطه الوادي: دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، القاهرة، ط ١٩٩٤،٣، ص٣٣

أحداث الرواية بما فيها من أحداث تاريخية بشكل متتابع كل حدث يليه الآخر بحيث يتخذ الروائي المسار الطبيعي للزمن، والكوني الذي يهتم بالمظاهر والمواقيت الطبيعة، أما الزمن النفسي فهو زمن الشخصية حيث يرتبط بعالم الشخصيات في الرواية عن طريق استرجاع ذكريات أو تنبؤ بالأحداث وهذا الزمن يجعل العمل الأدبي أكثر إثارة وتشويقا ويجذب القارئ لمتابعة أحداث الرواية للنهاية.

الزمن التاريخي للروايات:

تناولت نجلاء محرم الزمن التاريخي لأحداث الروايات بشكل متتابع تقطعه بعض تقنيات الزمن السردي كالمفارقات الزمنية من استرجاعات واستباقات، وتقنيات السرعة والتباطؤ لكسر الملل ورتابة السرد، فسارت هكذا في رواية البئر حيث اختارت طبقة فقيرة تتحكم فيها سلطة الأعداء الأغنياء، وفي رواية جابر حيث المجتمع الذي يعاني أثناء حكم المماليك ثم العثمانيين، أما في رواية الغزو عشقا مزجت بين الزمن الماضي والحاضر، فلم ترصد الأحداث الحياتية من منظور تاريخي فحسب بل رصدتها من منظور إنساني ووطني.

الزمن الكوني للروايات:

لم تعتمد نجلاء محرم على الزمن بالمفهوم الحديث الذي يعتمد على الساعة، وإنما اعتمدت على المفهوم البدائي الفلكي الذي يقوم على التقسيم اليومي والمرتبط بالأحداث والشخصيات حيث الليل يعقبه النهار والشمس والقمر والشروق والغروب في ثنائية تضادية متتابعة في حركة دائرية والتقسيم السنوي حيث فصول السنة والمواسم الدينية.

في رواية البئر جعلت الليل يشهد العمل حيث ضوء القمر

"يتزايد تألق القمر ليسكب من النور ما يكفي الجميع" (١)

(١) نجلاء محرم: رواية البئر، ص٤

فاستخدمت القمر كتوقيت زمني للعمل في الليل حيث القادمين للاستشفاء بماء البئر والقيام بخدمة المقيمين في منازل أهل صافورة كفنادق، وكرمز للأمل رغم الفقر وسوء الأحوال.

ولكن في رواية جابر جعلت الكاتبة العكس فالصباح يشهد بداية حركة الشخصيات لاستقبال يوم جديد ويشهد عملهم سواء في مصر أو إسطنبول مع اختلاف نوع العمل

"وكأن الحاج "جابر" بمروره الصباحي على أبواب الدكاكين ينثر تعويذة سحرية تدفع الجميع لبدء يومهم!" (١)

"في الصباح التالي.. وقبل أن يخرج "أصلان" لعمله طرق باب جاره....." (٢)

كل صباح يرطب كفه باحتواء كفها الصغير.. وينطلقان نحو" البدستان"(٣)

استخدمت نجلاء محرم الصباح كتوقيت للعمل، فجابر في مصر يمر في الصباح في شارع الأزهر ليبدأ عمله، وكذلك أصلان قبل أن يأتي إلى مصر، وفرحات أفندي الذي كان يذهب للبدستان ليلقن العمال اللغتين العربية والتركية وتذهب معه آيفر التي يحتوي كفها في حنان وحب كأبيها الذي سافر للحرب، فاستخدامها للصباح للدلالة على النشاط والعمل وتوقيت بدائي فلم تحدد ساعة معينة للذهاب للعمل.

وجعلت عمل بعض الشخصيات يرتبط بالصلوات مثل جابر الذي يرتبط عمله وترتبط حياته ومواقيته بالصلوات بدلا من الساعة

يؤذن العصر.. فيضع "جابر" إزميله ويغادر الدكان باتجاه الجامع.." (٤)"

للدلالة على التزام جابر بالصلوات فبمجرد سماع الأذان يترك عمله وينطلق للصلاة، وهناك تعبيرات غير لفظية أخرى تدل على أن مواعيده مرتبطة بالصلوات كأن يذهب لزيارة أسرة أصلان بعد صلاة العصر أو يجلس مع صديقه كنان بعد صلاة العشاء... وهكذا.

(١) نجلاء محرم: رواية جابر، ص ٩

(٢) المصدر السابق: ص٥٥

(٣) المصدر السابق: ص١٩٣

(٤) المصدر السابق: ص٨٠

وارتبطت الأحداث بالزمن الكوني في رواية البئر ورواية وبفصول السنة والمواسم في رواية جابر

"قبل الغروب بقليل.. الشمس المتوارية خلف دار "شكور" تنشر أشعتها الحمراء في الأفق ..والسماء القاتمة تنذر بليلة ظلماء.. ونجم أرعن خرج دون حياء يتلألأ أمام سيدته التي لاتزال في أفقها لم تغب "(١)

فتصوير المشهد أثناء الغروب مع لون السماء القاتم يوحي بنظرة تشاؤمية وواقع مأساوي تعيشه تلك النساء الجالسات أمام دار شكور من فقر وجوع بعد ردم البئر، وجعلت التعبيرات غير اللفظية في صيغة المضارع للدلالة على تجدد واستمرارية هذا الواقع الأليم، فرسم الزمن السردي اعتمد على مظاهر الطبيعة لجعله أكثر حسية وارتباطا بالحدث، ولتجسيد معنى الشعور بالغربة والضياع.

"تحكم شالها على كتفها.. فاعتدال الخريف تشوبه برودة منذرة بشتاء قارس يستعجل المجيء"(٢)

استخدمت الكاتبة فصل الخريف الذي تشوبه برودة فصل الشتاء أثناء قيام مهتاب زوجة أصلان بإحكام الشال على كتفها للدلالة على استقرار الأمور إلى حد استطاعتها ومحاولة التأقلم على الحال أثناء غياب زوجها أصلان، والبرد القارس ينذر بقرب حادث أليم وهو موت زوجها الذي ستتألم بعده وتحزن حتى تموت.

"غدا – إن شاء الله – ابدأ في المنبر الجديد.. واتفق مع شيخ العرب على تسليمه في موسم رجب..لكنني أعلم أنك ستنجزه في المولد النبوي.. " (٣)

وهذه زينب زوجة جابر التي تتحدث عن تسليم جابر للمنبر في موسم رجب قبل موسم المولد النبوي للدلالة على مستواها الثقافي البسيط حيث تستعمل هذه المواقيت بدلا من الشهور والتواريخ.

(١) نجلاء محرم: رواية البئر، ص٢٧

(٢) نجلاء محرم: رواية جابر، ص١٠٤

(٣) المصدر السابق:ص٢١

زمن السرد:

هو الزمن الذي يعتمد فيه الكاتب على المفارقات الزمنية والذي يبدو كما يقول ليمرت "من التتابع المنظم للوصف، ومن التدخل المتنامي والحقبي لمختلف المتتاليات الزمنية"(١)، فهذا الزمن يظهر من خلال التتابع الزمني لحقب تاريخية متعددة، ووصف تلك الفترات الزمنية باستخدام التقنيات الزمنية، وزمن السرد له علاقة بالزمن النفسي، فالأخير مرتبط بالمشاعر والأحاسيس والذكريات التي تعتمد على تقنيات الزمن السردية كالاسترجاع مع الذكريات والاستباق لأحداث تتوجس منها الشخصيات – على سبيل المثال – أو ستحدث في المستقبل، وسأعرض التقنيات الزمنية التي استخدمتها الكاتبة في رواياتها.

وأول هذه التقنيات الزمنية الاسترجاع والاستباق وهما يشكلان النظام الزمني للسرد الروائي.

الاسترجاع:

هو استذكار للأحداث الماضية سواء كانت في الماضي القريب أو الماضي البعيد.

وله عدة أنواع: "١-استرجاع خارجي: يعود إلى ما قبل بداية الرواية.

٢-استرجاع داخلي: يعود إلى ماض لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص.

٣- استرجاع مزجي: وهو ما يجمع بين النوعين"(٢)

وترجع أهمية الاسترجاع إلى أنه أحد التقنيات المهمة التي تساهم في تطور عملية السرد حيث يقوم "بملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه سواء بإعطائنا معلومات حول سوابق شخصية جديدة، أو باطلاعنا على حاضر شخصية اختفت عن مسرح الأحداث ثم عادت، أو العودة إلى أحداث سبقت إثارتها برسم التكرار الذي يفيد التذكير، أو الإشارة إلى أحداث سبق للسرد أن تركها جانبا

(١) سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٣،١٩٩٧، ص ٧٤

(٢) سيزا قاسم: بناء الرواية، ص٥٨

واتخاذ الاستذكار وسيلة لتدارك الموقف وسد الفراغ الذي حصل في القصة، أو لسحب تأويل سابق واستبداله بتفسير جديد، أو لتغيير دلالة بعض الأحداث الماضية"[١]

الاسترجاع الخارجي:

يستخدمه الكاتب "لملء فراغات زمنية تساعد على فهم مسار الأحداث، أو عندما يعود إلى شخصيات ظهرت بإيجاز في الافتتاحية ولم يتسع المقام لعرض خلفيتها أو تقديمها"[٢]، ووظيفة الاسترجاعات الخارجية أنها تقوم بإكمال الأحداث الناقصة في الحكي السابق فلا تتداخل معه كما يقول جيرار جنيت "لأن وظيفتها الوحيدة هي إكمال الحكاية الأولى عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك"[٣]

فهذا استرجاع خارجي من رواية البئر يوضح علاقة شكور بنرجس التي ظهرت في بداية الأحداث، فهي صديقة الطفولة وأصبحت جارتها أيضا:

"مصمصت "شكور" بشفتيها وهي تعبر عتبة الدار الرحبة.. دار "نرجس".. رفيقة الطفولة والصبا والشباب والكهولة.. كم كان مرحهما طفلتين حلوا وعذبا! وكم كان إحساسهما "بشكور" وبكل ما يخص شكور مرهفا صادقا! أيام بطولها تنقضي وهما معا في دار "نرجس".. أعمامها صاروا أعمام "شكور"..وأخوالها صاروا أخوال "شكور" وجدها وجدتها وأبناء عمومتها وأبناء خئولتها.. أفسحوا لها مكانا في القربى.. وارتاحت "شكور" لدفء اللمة وهيبة العزوة لديهم.." [٤]

ووظفت الكاتبة التعبيرات غير اللفظية لتجسد الاسترجاع الزمني لطفولة شكور مع نرجس فاستخدمت صوت المصمصة وهو صوت يصدر عند استرجاع الذكريات أو رؤية موقف محزن

(١) حسن بحراوى: بنية الشكل الروائى، ص١٢١،١٢٢

(٢) سيزا قاسم: بناء الرواية:ص٥٨،٦٠

(٣) جيرار جنيت: خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم، وعبد الجليل الأزدي، وعمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط ٢،١٩٩٧،ص٦١

(٤) نجلاء محرم: رواية البئر، ص٤٤

وغالبا ما تقوم به النساء عن طريق الشفتين، والأيام التي كانت تقضيها معها حيث المرح واللعب في بيتها حتى صارت جزءا من عائلة نرجس.

" تهمي الذكريات مذ كانتا صغيرتين تلعبان في حديقة بيت كهذا.. تؤثرها "مهتاب" بحبات الكريز الناضجة.. وتمنحها نصف نصيبها من الحلوى التي خبزتها أمها.. وتلبسها أثوابها الجديدة.. كانت تنام في فراش صديقتها أكثر مما تنام في فراشها.. كل ما لدى "مهتاب" كان ملكا لها.. وكان رضا الصديقة بأشيائها لا يتم إلا إذا وهبتها نصيبا منه!"[١]

وهذا استرجاع آخر يبين علاقة مهتاب ببيللور صديقتها في طفولتهما واستخدمت الكاتبة الإشارات غير اللفظية كحبات الكريز الحمراء التي تعطيها مهتاب لبيللور للدلالة على حبها لها، والحلوى والملابس وكل شيء يخص مهتاب أصبح لبيللور نصيبا منه، فاستخدمت كل هذه الأشياء لتجسد الذكريات التي تسترجعها بيللور.

الاسترجاع الداخلي:

يستخدمه الكاتب "ليعالج.. الأحداث المتزامنة، حيث يستلزم تتابع النص أن يترك الشخصية الأولى ويعود إلى الوراء ليصاحب الشخصية الثانية،... ويستخدم لربط حادثة بسلسلة من الحوادث السابقة المماثلة لها ولم تذكر في النص الروائي من باب الاقتصاد"[٢]

فهذه جوليا تسترجع لهفة وحب أبي قورة

" رأيت هذا منذ اليوم الأول لمجيئي هنا.. لم تكن لهفته علي مجرد.. شفقة.. أو شهامة.. بل كانت حبا أيضا.. لم أحسن لحظتها فهمه.. شوش الفزع مشاعري.. ورغم ذلك ارتحت لوجودي في رحابه.. اطمأننت إليه.. منعني البدوي من الارتماء في حضنه والاحتماء به.. وقبل أن ينطق بحرف تأكدت أن معه أمني وسلامي.." [٣]

فاللهفة والحب مشاعر ولكن هذه المشاعر لها إيماءات جسدية من خلالها فهمت جوليا أنها مشاعر الحب وليس الشفقة، وإيماءة الارتماء في الحضن هي حركة جسدية منعت منها، وصمتها

(١) نجلاء محرم: رواية جابر، ص٣٥٢

(٢) سيزا قاسم: بناء الرواية، ص٦٠،٦٢

(٣) نجلاء محرم: رواية الغزو عشقا، ص١٣٤

الذي لم يمنعها من شعور السلامة والأمن فهذه التعبيرات استخدمتها نجلاء محرم لتصف الزمن المسترجع.

الاستباق:

هو استشراف للأحداث المستقبلية ويعرفه حسن بحراوي بأنه "كل مقطع حكائي يروى أو يثير أحداثا سابقة عن أوانها أو يمكن توقع حدوثها"(١)، فلم يعد الزمن يسير في اتجاه خطي واحد وإنما يلجأ الكاتب لمثل هذه التقنيات لإثارة القارئ حول وصف أحداث الرواية المستقبلية، ولكن يرى بعض النقاد قلة تقنية الاستباق مقارنة بالاسترجاع وذلك لأن تلخيص الأحداث المستقبلية يقلل من تشويق المتلقي لاكتشاف الأحداث الجديدة فتقول سيزا قاسم "هذه التقنية تتنافي مع فكرة التشويق التي تكون العمود الفقري للنصوص القصصية التقليدية،... ومع مفهوم الراوي الذي يكتشف أحداث الرواية في نفس الوقت الذي يرويها فيه ويفاجأ مع قارئه بالتطورات غير المنتظرة"(٢)

وكما كان للاسترجاع أنواع كذلك فالاستباق أربعة أنواع:

الاستباق الداخلي:

الاستباقات الداخلية " نوع المشاكل نفس الذي تطرحه الاسترجاعات التي من النمط نفسه ألا وهو: مشكل التداخل، مشكل المزاوجة الممكنة بين الحكاية الأولى والحكاية التي يتولاها المقطع الاستباقي "(٣)

الاستباق الخارجي:

عبارة عن "مجموعة من الحوادث الروائية التي يحكيها السارد بهدف إطلاع المتلقي على ما سيحدث في المستقبل"(٤)، وتقوم هذه الاستباقات بدفع الأحداث إلى نهاية منطقية حتمية أو كما يقول جيرار جنيت بأن "وظيفتها ختامية"(٥)

(١) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص١٣٢

(٢) سيزا قاسم: بناء الرواية، ص٦٥

(٣) جيرار جنيت: خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ص٧٩

(٤) مرشد أحمد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصرالله،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٢٦٧

(٥) جيرار جنيت: خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ص٧٧

الاستباقات التكميلية والاستباقات التكرارية:

يعرف جيرار جنيت الأولى بأنها" تلك التي تسد مقدما ثغرة لاحقة " والثانية بأنها "هي التي تضاعف مقطعا سرديا آتيا"[١]، فالاستباقات التكميلية تقوم بملء فجوة أحداث ستحدث على المدى

القريب خلال السرد أما الاستباقات التكرارية فتعتمد على تكرار حدث أو تنبؤ سيأتي خلال سرد الأحداث أيضا.

لم تستخدم نجلاء محرم الاستباقات الداخلية التي تقوم على تداخل الحكايات وإنما اعتمدت على الاستباقات الخارجية والتكميلية والتكرارية مع مراعاة عدم حدوث خلل في إثارة وتشويق القارئ بل مزجتها في سرد الأحداث.

وجاءت الاستباقات الخارجية كالتالي:

"هل تظنهم يعودون إذا عادت يا رفاعي ؟

"يعودون ؟ ربما !.....وظلت البئر تمنح خيرها وبركتها لكل المحتاجين.. وستحل بركتها على منقذيها.. وسيعود كل الغائبين"[٢]

تسأل شكور رفاعي للدلالة على أنها تتمني عودة أهل صافورة إليها وتتحدث مع نفسها حيث امتزج صوتها بصوت الراوي العليم فقولها أن بركة البئر ستحل وسيعود الغائبين استباق خارجي لعودة الناس إلى صافورة فصورت البئر بأنها تمنح الخير والبركة، واستخدمت أساليب الاستفهام والتعجب لرسم السرد الاستباقي.

أما الاستباقات التكميلية مثل قول الكاتبة في رواية الغزو عشقا:

"ستستيقظين في الصباح فلا تجدينه بجوارك في الفراش.. لن تفطري معه.. وملابسه هذه التي تعتنين بها وبنظافتها وتنسيقها وطيها لن تمتد إليها يده.. والطعام الذي تحتملين مشقة طهيه لأجله لن يتذوقه.." [٣]

(١) المرجع السابق: ص ٨٠،٨١

(٢) نجلاء محرم: رواية البئر، ص٧٨

(٣) نجلاء محرم: رواية جابر، ص١٨٨

وهذه زينب التي ستستيقظ فلم تجد زوجها جابر لأنه سيسافر إلى تركيا فاستخدمت الكاتبة الأشياء التي تجسد هذا الاستباق كاستيقاظ زينب في الصباح وعند تناول الفطور مع زوجها، وملابسه التي تعتني بها والطعام الذي تعده له لتعبر عن وحدتها في غياب زوجها.

واستخدمت نجلاء محرم بعض التقنيات الاستباقية مثل:

١ –التنبؤ: من خلال:

(أ)الأحلام (ب) خلجات النفس (المنولوج)

٢– النذر

وكلها تنتمي إلى اللغة غير اللفظية التي تجسدها الكاتبة بلغة لفظية مكتوبة سرديا.

(أ)الأحلام:

تنقسم قسمين **الأولى**: تخيلات تحدث للإنسان أثناء النوم، وتلعب دورا مهما في عملية التنبؤ حيث تعتبر "أداة قصصية قديمة نجدها في قصة النبي يوسف (عليه السلام)،...وبعض الكتاب المعاصرين قد فطنوا إلى هذه الوسيلة الفنية ودورها في إثراء العمل الفني"[(١)]، **والثانية**: أحلام اليقظة وهي "تخيلات تقوم بها الشخصية إما إيجابية كأن تتمنى حدوث أشياء تحبها أو سلبية كتخيلها لمخاوف تخشى حدوثها "[(٢)]

وقد استخدمت نجلاء محرم الأداء الأولى مرتين في رواياتها إحداهما في رواية البئر والأخرى في رواية جابر، ولم تستخدم الثانية.

"ليلة مولدك جاءتني الرؤيا.. زارني الغالي في المنام وقال لي: سأرسل لك "رفاعي" ليحمل همك.. جريت إلى أمك فتلقيتك على كفي. وقلت لها هو: "رفاعي "! رفضت وزمجرت وثارت ثم أسمتك: "رفاعي"!"[(٣)]

هذه الرؤيا لشكور التي رأت زوجها وهو يبشرها برفاعي ولد جارتها زهرة الذي سيحمل همها ويحميها، وهو ما تحقق في أحداث الرواية حيث ذكرت الكاتبة أنه كان يخرج الثعابين من بيت شكور وفي نهاية الرواية ذهب ليسترد البئر ويقتص لشكور من الأعداء الذين قتلوا زوجها.

(١) طه الوادي: دراسات في نقد الرواية، ص٣٥

(٢) المرجع السابق: ص٣٤

(٣) نجلاء محرم: رواية البئر، ص٨٠

(ب) خلجات النفس (المنولوج):

هي حديث النفس بحيث تملأها الهواجس والظنون حول أمر معين، وورد في لسان العرب " أصل الاختلاج: الحركة والاضطراب، وفي حديث عدي، قال له عليه السلام: لا يختلجن في صدرك، أي لا يتحرك فيه الريبة والشك" (١)

واستخدمت نجلاء محرم هذه التقنية مع الشخصيات التي كانت تشعر باضطراب نتيجة الأحداث المؤلمة والتي تسببت في ملئ النفوس بالظنون والمخاوف ومن هذه الشخصيات زينب **"شيء بالقلب يفتك بطمأنينتك يا "زينب".. وقلبك – أبدا – لم يكذبك!"** (٢)

فكانت زينب تخشى من قدوم العثمانيين على فقدان زوجها جابر أو سفره وبالفعل حدث ما كانت تخشاه وسافر جابر مع العمال المسافرين بأمر من السلطان، وقد استخدمت الكاتبة القلب كعضو جسدي لتعبر به بطريقة غير لفظية عن شعور زينب وهو الخوف والتوجس من المستقبل.

٢– النذر.

هو أن يوجب الإنسان على نفسه شيئا لله (عز وجل)، قال تعالى **" وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ "**(٣)

" وها هو الآن ينذر نذرا جديدا: أن يزور بيت الله ثانية إن وهب طفلا يؤنس أخاه.. ويفرح أباه.. ويكفكف دمع أمه.."(٤)

جابر ينذر نذره الجديد بأن يحج بيت الله الحرام مرة ثانية إن رزقه الله بطفل يكون أخا لحسن ولده ويفرح به، ويكفكف دموع زوجته زينب، واستخدمت نجلاء محرم نذرا يحمل عبادة دينية وهي الحج، ولم تقل يحج وإنما استخدمت الشيء وهو بيت الله، وكفكفة الدموع إشارة جسدية غير لفظية لتجسيد النذر الذي كان قد نذره قبل أن ينجب وتحقق بعد أن رزق بحسن، وها هو نفس النذر الذي استبق الأحداث وتحقق حيث ذكر جابر نفسه بتحقيقه عندما رزق بمن يؤنس ولده ويفرح به وهي آيفر التي عاد إليها جابر مع ابنه وزوجته ليتزوجها حسن في تركيا.

---

(١) ابن منظور:لسان العرب، مادة خلج

(٢) نجلاء محرم: رواية جابر، ص١١١

(٣) سورة البقرة: آية ٢٧٠

(٤) المصدر السابق: ص١٢

الإيقاع الزمني للسرد:

والذي يسير عند نجلاء محرم في اتجاهين:

(أ) تسريع السرد: وتستخدم لذلك تقنيتين هما: الحذف والخلاصة (الإيجاز).

(ب) إبطاء السرد:وتستخدم لذلك أيضا تقنيتين هما: المشهد والوقفة.

أولا: تسريع السرد:

الحذف:

عبارة عن اختزال لبعض الأحداث السردية ويسميه البعض الإسقاط أو الحذف ويعرفه حسن بحراوي بأنه " تقنية زمنية تقضي بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة، وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع أو أحداث"(١)، وترجع أهميته إلى أنه "يشكل أداة أساسية في الرواية المعاصرة؛ لأنه يسمح بإلغاء التفاصيل الجزئية...ولذلك فهو يحقق... مظهر السرعة في عرض الوقائع في الوقت الذي كانت الرواية الواقعية تتصف بالتباطؤ "(٢)، فالحذف تقنية تسرع من عملية السرد حيث يقوم الروائي بحذف بعض الأحداث والقفز إلى أحداث أخرى أكثر أهمية دون إحداث تأثير على المتلقي فهم سير الأحداث، وقد قسمه جيرار جنيت إلى ثلاثة أنواع (٣):

١-حذف صريح أو معلن. ٢- حذف ضمني. ٣- حذف افتراضي.

الحذف المعلن:

هو حذف يصرح به الراوي إما بطريقة محددة أو بأخرى غير محددة، فالنوع الأول يتم فيه تحديد المدة المحذوفة من زمن القصة بوضوح مثل: مضى شهران أو بعد ذلك بعامين، والنوع الثاني تكون المدة المحذوفة غير دقيقة مثل: بعد شهور طويلة، بعد عدة سنوات(٤)

وجاء الحذف المحدد في الروايات كما يلي:

"نحن هنا منذ أسبوع ولم نر أحدا.. قيل لنا أن البلدة مهجورة.. خالية.." (٥)

(١) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص١٥٦

(٢) حميد لحمداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ص٧٧

(٣) جيرار جنيت: خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ص ١١٧:١١٩

(٤) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص١٥٧

(٥) نجلاء محرم: رواية البئر، ص ٥٧

عندما كان الضباط يعملون في البئر الجديدة ورأوا شكور فذهلوا لأنهم لم يروا أحدا منذ أسبوع حيث كانوا يظنون أن القرية خالية بعد هجرة أهلها للبحث عن الرزق، ولم تذكر الكاتبة أحداث هذا الأسبوع حتى لا تزيد على القارئ التفاصيل غير المهمة.

"بعد مائتي عام يأتي طه الزعيم حفيد جوليا"[١]

فبعد تلك الأعوام يتعجب أحمد من قدوم طه الزعيم ليبحث عن جذوره المصرية التي ينتمي إليها، فلم تسرد الكاتبة ما مضى من قرنين من الزمان.

وأما الحذف غير المحدد فجاء كما يلي:

"شهور وشهور وأنا ساخطة جارحة عدوانية.. شهور وشهور وهو يحتمل ثورتي واندفاعي"[٢]

هذه الشهور مضت على جوليا التي كانت ساخطة وعدوانية فاستخدام الكاتبة لكلمة شهور دون تحديد لتدل على طول المدة بالنسبة للشخصية ومدى شعورها بالمعاناة ومدى ثورتها واندفاعها على أبي قورة.

الحذف الضمني:

هو الحذف "الذي لا يصرح به الراوي، وإنما يدركه القارئ فقط بمقارنة الأحداث بقرائن الحكي نفسه"[٣]

"تتبدل وجوه جيرانك يا جابر.. يرتحلون.. ويحل محلهم القادمون من الأرياف.. ثم يرتحلون.. وينزل منازلهم جيران جدد.. ثم يرتحلون.."[٤]

"تتذكرين كيف لذت به لأول مرة حين أتوا بك إلى داره عروسا لم تتعد الثالثة عشرة! "[٥]

لم تصرح الكاتبة في المثال الأول بالجيران ولا القادمين ولا وقت رحيلهم أو قدومهم بالإضافة إلى استخدامها للنقط التي تدل على الحذف، وفي الثاني لم تذكر متى كان زواج جابر وزينب؟، ولكن اكتفت بالإشارة إلى ذلك لكون المحذوف ليس له تأثير في سرد الأحداث، فتفاصيل الزفاف لن يستخدمها القارئ في ربط الأحداث ببعضها.

---

(١) نجلاء محرم: رواية الغزو عشقا، ص١٨

(٢) نجلاء محرم: رواية الغزو عشقا، ص١٣٥

(٣) حميد لحمداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ص٧٧

(٤) نجلاء محرم: رواية جابر، ص٢٥

(٥) نجلاء محرم: رواية جابر، ص٤٠

وهناك تقنيات أخرى تستخدمها الكاتبة للدلالة على الحذف:

(أ)تقنية النقاط المتتابعة (...):

وتستخدمها الكاتبة بكثافة شديدة فلا تكاد تذكر جملة إلا وقد استخدمت النقاط فيها ويتضح هذا من خلال كل الأمثلة التي ذكرتها.

(ب)تقنية البياض:

وتستخدمها الكاتبة عند نهاية الفصول، لأن البياض يعلن "عادة عن نهاية فصل أو نقطة محددة في الزمان والمكان ، وقد يفصل بين اللقطات بإشارة دالة على الانقطاع الحدثي والزماني...كالتالي (***)" [١]، وقد استخدمت الكاتبة تقنية البياض وتقنية النقاط لكي تعبر عن أشياء محذوفة بعضها قد لا تفيد القارئ أو لا تؤثر في سرد الأحداث، والبعض الآخر يفهمها القارئ من خلال السياق السردي.

الحذف الافتراضي:

هو الحذف الذي يفترضه القارئ في بعض المواضع السردية لأنه "يستحيل وضعه في أي موضع كان"[٢]، وهو الحذف الذي يشترك مع الحذف الضمني "في عدم وجود قرائن واضحة تسعف على تعيين مكانه أو الزمان الذي يستغرقه"[٣]، فالقارئ يفترض مرور المدة الزمنية من خلال أحداث مرت خلال سرد الروائي دون ذكرها، والمفترض أنها حدثت.

" تزوجني أبو قورة.. تزوجني زواجا كريما.. نبيلا.."[٤]

لم تحدد الكاتبة الوقت الزمني التي تزوج فيه أبي قورة جوليا ولكن يمكن تحديده افتراضيا بعد مرور أكثر من عام أي بعدما عرض عليها العودة ورفضت.

"ولما شاء الله أن تتزوج من فرحات قالت له: إن أسكنتني بجوار صديقتي سأكون سعيدة جدا"[٥]

(١) المرجع السابق: ص٥٨

(٢) جيرار جنيت: خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ص١١٩

(٣) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص١٦٤

(٤) نجلاء محرم: رواية الغزو عشقا، ص٢١٦

(٥) نجلاء محرم: رواية جابر، ص٢٩٩

لم تذكر الكاتبة موعد الزواج لكل من بيللور ومهتاب ولا المدة الزمنية بين زواج الاثنتين، ولكن قول بيللور لفرحات قبل أن تتزوجه "إن أسكنتي... " دلالة على أن زواج مهتاب كان سابقا لزواج فرحات وبيللور.

٢-الخلاصة(الإيجاز):

هي " أحداث.. جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات ، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل"[(١)]، فالكاتب يستعرض الأحداث بشكل موجز دون التطرق إلى التفاصيل وتأتي الخلاصة لتلخيص أحداث حدثت في الماضي وأحيانا يلخص الكاتب أحداث في الحاضر والمستقبل، وقد تكون الخلاصة محددة يسهل على القارئ تقدير المدة المحذوفة أو غير محددة، وينقسم التلخيص إلى قسمين:

تلخيص تقديمي:

هو التلخيص الذي يقتصر على عرض الكلمات والأحداث بشكل سريع بحيث لا تعرض أمام القارئ سوى النتيجة الأخيرة التي تنتهي إليها تطورات الأحداث الرواية[(٢)]، فهذا النوع من التلخيص يعطي للقارئ معلومات عن الشخصيات والأحداث بشكل مكثف دون الخوض في تفاصيل كأن يقدم شخصية من الشخصيات مثل:

"لابد أنه جميل بعينين خضراوين كحبات البازلاء" [(٣)]

قامت الكاتبة بتلخيص مستقبلي لتخبر القارئ بملامح شخصية وضاح حفيد أبي قورة وابن طه الزعيم حيث جعلته في صيغة توقع من والدة أحمد ابن عم طه.

تلخيص انتقائي:

هو التلخيص الذي ينتقي فيه الكاتب بعض الأحداث أو كلام الشخصيات ليختزلها ويقدمه بطريقته ويعرفه حسن بحراوي بأنه تلخيص أجزاء معينة من الأحداث غير اللفظية في الرواية أو

(١) حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص٧٦، حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص ١٩٩

(٢) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص١٥٣

(٣) نجلاء محرم: رواية الغزو عشقا، ص١٢٦

تلخيص كلام شخصيات معينة وقد يتم إبقاء الضمير المتكلم به صاحب الشخصية أو إعادة صياغة الكلام بصوت الراوي [١]

"وجل هو قلبك يا "زينب".. كلما دار المنادي في طرقات القاهرة منذرا بقرب وقوع الواقعة.."[٢]

وقد استخدمت الكاتبة تقنية الحذف(القطع) أكثر من الخلاصة (التلخيص) حيث استخدمت كل أنواع الحذف وأكثرت من النقاط المتتابعة، والبياض الذي يأتي في نهاية الفصول أو عندما تريد الحذف في بعض المواضع.

ثانيا: إبطاء السرد:

المشهد:

هو الحوار الذي يدور بين الشخصيات ويقول حميد لحمداني "إن المشاهد تمثل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق"[٣]، ويعبر به الكاتب عن الأسلوب اللغوي للشخصيات فيترك الكاتب الحوار يدور بينها دون تدخل فيتيح له ذلك تعدد اللهجات وأساليب الكلام، والعمل على كسر رتابة السرد، والكشف عن طبائع الشخصيات النفسية والاجتماعية، وقد يكون الحوار خارجيا أو داخليا (منولوج).

الحوار الخارجي:

هو الحوار الذي يدور بين شخصيتين أو أكثر، ويظهر من خلاله المستوى الثقافي والاجتماعي والنفسي للشخصيات ويأتي الحوار ليعمل على إبطاء السرد.

حوار دار بين شكور ونرجس صديقتها وجارتها:

"حين يأتي الرجل والأولاد سيحضرون النول معهم..

= إنهم لم يسألوا ـ بعد ـ عن ثمنه..

– أهي مشكلة يا "شكور"؟ سيسألون ويعرفون ويشترونه

= ثم نبحث عمن يعلمنا.. وعمن يبيع لنا الصوف وعمن يشتري منا الأكلمة..و....

(١) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص ١٥٤

(٢) نجلاء محرم: رواية جابر، ص٣٩

(٣) حميد لحمداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ص٧٨

– بسم الله الرحمن الرحيم أما زالت "زهرة" معنا؟

= "سرها باتع"!

– سنتعلم إن شاء الله.. وستفرج.. المهم أن تكفي النقود..

= قولي لي: هل حقا سيتزوج زوج "زهرة"؟

– هذا ما يقوله ولدها "رفاعي"

= مسكينه يا "زهرة"!

– لن يزداد نكدها عما هي فيه !"[١]

هذا الحوار يدل على مدى معاناة المرأة في البحث عن الرزق وشعور الخوف الذي يملأ قلب شكور فبعد عملها في خدمة القادمين للاستشفاء بماء البئر ستعمل على النول وهذا العمل جديد عليها فهي تتحاور مع نرجس جارتها وصديقة الطفولة بأسلوب استفهامي يدل على مشاعر الحيرة والخوف والهم حتى شبهتها نرجس بزهرة ثالثتهم التي دائما تحمل هم كل شيء واستخدمت الكاتبة بعض الكلمات مثل "سرها باتع" التي تدل على المستوى الثقافي للشخصيات وللدلالة على تأثير زهرة على شكور حتى أصبحت مثلها خائفة ومهمومة.

الحوار الداخلي:

هو الحوار الذي يدور بين الشخصية ونفسها ويكشف عن خباياها النفسية من مشاعر وأفكار وذكريات مفرحة أو محزنة.

"كيف أنت الآن يا زينب؟ أتراك قد صرت عصبية المزاج يتحسب الناس قبل التحدث إليك؟ أتراك قد انطفأت وانسحبت من حياة ولدنا؟ إياك يا زينب.. إياك أن تكوني قد تغيرت....." [٢]

هذا حوار جابر مع نفسه الذي يتساءل في حيرة وخوف عن زوجته زينب التي تركها هي وابنه في مصر وسافر إلى تركيا – بأمر السلطان – ورأى زوجة أصلان التي تغيرت وصارت عصبية المزاج بعد موت زوجها فخاف جابر على زينب أن تكون صارت مثلها، فاستخدمت الكاتبة أسلوب التحذير للدلالة على شدة خوفه وحزنه عليها.

(١) نجلاء محرم: رواية البئر. ص٣٣

(٢) نجلاء محرم: رواية جابر، ص٢٦٧

الوقفة:

تعد الوقفة من التقنيات المهمة في إدارة الأحداث، ويسميها البعض الاستراحة وهي التي "يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرورة الزمنية، ويعطل حركتها"(١)

وقفات لوصف الشخصيات:

تصف الطفلة آيفر فتقول:

"تتطلع آيفر لأمها بعينيها الزرقاوين المستطلعتين.. " (٢)

كانت هذه وقفة بسيطة لترسم الكاتبة للقارئ ملامح شخصية الطفلة آيفر صاحبة العيون الزرقاء.

وقفات لوصف الأماكن:

"في ضوء القمر جلس الجميع القرفصاء.. وظلال بيوت حجرية صغيرة كبيت "شكور" تستلقي على الأرض في وداعة.. ويفرش القمر مستطيلات نور مختلفة المساحات تتمدد إلى جوار مستطيلات الظل ثم لا تلبث أن تستحيل إلى أشكال ممطوطة ومائلة من الظل والضوء كلما ازداد انحدار القمر نحو الأفق.. ونسيم مرح يدور ويميل ويسرع ويبطئ مباهيا بحريته.."(٣)

بعد سرد الأحداث تقف الكاتبة لتصف للقارئ قرية صافورة حيث البيوت الحجرية القديمة والبيئة الصحراوية، والناس تعيش فيها على ضوء القمر للدلالة على المستوى الاجتماعي لأهلها وهو الفقر.

(١) حميد لحمداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ص٧٦

(٢) نجلاء محرم: رواية جابر، ص١٢٢

(٣) نجلاء محرم: رواية البئر، ص٨

المصادر:

١. القرآن الكريم
٢. ابن منظور جمال الدين أبو الفضل (ت٧١١هـ): لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت
٣. نجلاء محرم: رواية البئر، إيزيس للإبداع والثقافة، الدقهلية – مصر، ط٢،٢٠٠٦
٤. ـــــ: رواية الغزو عشقا، مركز نهر النيل الثقافي، الزقازيق – مصر، ط٢،٢٠٠٩
٥. ـــــ: رواية جابر، مركز نهر النيل الثقافي، الزقازيق – مصر، ط٢،٢٠١٥

المراجع:

١. جيرار جنيت: خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم، وعبد الجليل الأزدي، وعمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط ٢،١٩٩٧
٢. حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١،١٩٩٠
٣. حميد لحمداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩١
٤. سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٣،١٩٩٧
٥. سيزا قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مكتبة الأسرة، د.ت، د.ط.
٦. طه الوادي: دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، القاهرة، ط ٣،١٩٩٤
٧. مرشد أحمد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصرالله،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ط١،٢٠٠٥